المدن الصغرى في الجزائر:
خصائصها و دورها في عملية التحضر

أ.د/ لكحل عبد الوهاب
جامعة قسنطينة 1

أ/ هبهوب نوال
جامعة قسنطينة 1

الملخص :

شهد المجال الجزائري منذ الاستقلال إلى يومنا هذا نموا في مجاله الحضري ، و تختلف وتيرة سرعته حسب المكان و الزمان، مما خلق بنية حضرية غير متوازنة و في محاولة للتقليل واستعادة التوازن المجالي اهتمت السياسات الحضرية بالمراكز الأقل حجما و كثافة و المتمثلة في المدن الصغرى و التي تعتبر نوع من أنواع الحلول لتخفيف التضخم الحضري الذي يظهر في المدن الكبرى الساحلية المتواجدة في قمة التسلسل الهرم.

الكلمات المفتاحية: التحضر، المدن الصغرى، عزابة، الحروش، القل، التجهيزات، التجارة.

Résumé :

L'Algérie a connu une croissance urbaine rapide. Depuis l'indépendance jusqu'à aujourd'hui, le rythme de cette croissance varie différemment selon les lieux et les temps, ce qui a créé une structure urbaine déséquilibrée. Pour tenter de réduire ou de moins rétablir les équilibres hiérarchiques et spatiaux tant convoités, les politiques urbaines se sont intéressées aux centres urbains les moins denses représentés par les petites villes considérées comme une issue salvatrice ou un échappatoire au phénomène de macrocéphalie urbaine et de littoralisation symbolisé par les villes occupant le sommet de la hiérarchie.

Mots-clés: urbanisation, petites villes, Azzaba, El Harrouche, Collo, les équipements, commerces.

مقدمة

عرف التحضر الجزائري خلال العقود الخمس بعد الاستقلال تحولات عميقة إثر بروز مجموعة من المراكز ذات الأحجام الحضرية المختلفة منها المدن الميثروبولية (الكبرى) و المدن المتوسطة و الصغرى المتمركزة في شمال البلاد، و هذا راجع إلى عملية التصنيع و التي تم إنشاؤها في سنوات السبعينات حيث سمحت بنمو و تطور المدن الساحلية، و ساهمت في دعم اللاتوازن للبنية الحضرية الوطنية [1]، فأصبح التوجه نحو الزيادة في الأحجام السكانية للمراكز الصغرى الراجعة عن عملية النزوح الريفي مما أدى بها إلى الارتقاء إلى عتبة المراكز الحضرية الصغيرة و التي لها دور في دفع عجلة التحضر، و تصحيح جزئي للمسار المنتهج بإعطاء نوع من التوازن في النسيج الحضري [2].

في عام 1930 كان المجال الجزائري (آنذاك الشمال) يضم 3 ملايين نسمة مختلطة بين السكان الأصليين (و الذين امتزجوا بالعرب) و الأتراك بنسبة تحضر قدرت ب 5 % ظهرت أو تمركزت في المدن : العاصمة ، قسنطينة و تلمسان، المتمثلة بالتقريب 160 ألف ساكن [1]، هذا ما يؤكد أن المجتمع الجزائري هو بالأساس مجتمع ريفي يقطن المناطق الريفية و الجبلية و يحكمه النظام القبلي أو العشائري، لهذا أول ما قام به الاستعمار الفرنسي عند دخوله البلاد هو تحطيم هذا النظام و توسيع مجال السيطرة على المناطق الساحلية المتمثلة في السهول و على المناطق الداخلية المتمثلة في الأحواض و هذا على حساب أراضي القبائل و العروش و ذلك بإنشاء قرى إستطانية داخل المناطق الفلاحية، هذه العملية امتدت لعقود من الزمن ، و كانت نتيجتها الحالية و الغالبة هي المدن الصغرى التي تظهر في المجال الجزائري و بالتحديد في الشمال.

إن التحضر منذ دخول الاستعمار الفرنسي أصبحت تتمثل غالبيتها الساحقة في المعمر بينما نسبة سكان الريف تبقى تتمثل في سكان الجزائر و لكن هذه المرة بظروف جد صعبة خصوصا من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية.

منذ سنة 1926 إلى غاية 1948 حسب التعداد الفرنسي المعتمد كل خمس سنوات باستثناء الفترة الإحصائية التي من المفروض كانت تتم سنة 1941 و تعذر ذلك بسبب الحرب العالمية الثانية، عدى ذلك نلاحظ زيادة منتظمة في نسبة السكان الحضر حيث حسب الجدول رقم (1) قدرت بفارق يقارب 1 % بين فترة و أخرى، إلى أن وصلت إلى نسبة 25 % و هذا في حوالي منتصف الخمسينات أي مع بداية الثورة التحريرية.

بعد الاستقلال و في أول تعداد إحصائي جزائري محض قدر السكان الحضر بنسبة 31.4 % أي بزيادة قدرت ب 6 % فقط بسبب شغور المدن خلال الاستقلال من المعمر و الاستعمار ككل و تعويضه بالمواطن الجزائري الفقير بعد ما كان يقطن الريف ، ثم ارتفعت إلى نسبة 40.00 % سنة 1977 بسبب حركة التصنيع و تطور الحياة الاجتماعية، بعدها بعشرية تم إحصاء نسبة 49.70 % أين بدأ إشكال التحضر يطفو و يظهر جليا بعدم الموازنة بين الطلب و العرض خصوصا في السكن و العمل، و في العشرية التي تلتها هذه النسبة أصبحت تقدر ب 58.3 % من إجمالي السكان لتصل في آخر عملية إحصائية للجزائر أي سنة 2008 إلى نسبة 65.94 % .

ملاحظة : تجدر الإشارة إلى أن السكان الحضر يتم تحديدهم بالمراكز التي يفوق عدد سكانهم أو يساوي 5000 نسمة علما أن هذا المعيار كثيرا ما طرح تساؤلات عديدة لأنه لم يكن مبني على مؤشرات علمية دقيقة و حتى نتفادى هذا الإشكال كان لزاما علينا الاعتماد عليه كمقياس أولي قد يساعد على تعريف الحضر و لو من حيث الكم [2] .

جدول رقم (1): **تطور عدد السكان الحضر و الريف في الجزائر (1926 – 2008)**

السنوات	سكان حضر	النسبة %	سكان ريف	النسبة %	اجمالي السكان
1926	1100143	20.20	4344218	79.79	5444361
1931	1247731	21.10	4654288	78.85	5902019
1936	1431513	22.00	5078125	78.00	6509638
1948	1838152	23.60	5948939	76.39	7787091
1954	2157938	25.00	6456766	74.95	8614704
1966	3778482	31.40	8243518	68.57	12022000
1977	6686785	40.00	10261215	60.54	16948000
1987	11444249	49.70	11594693	50.32	23038942
1998	16966937	58.30	12133926	41.61	29100863
2008	22471179	65.94	11608851	34.06	34080030

المصدر: مختلف الإحصائيات.

إن هذا التضخم في المستوى الحضري أدى إلى جملة من المشاكل كما و كيفا، أهمها مشكل البطالة و السكن، مما أدى إلى تدهور في المستوى المعيشي للأفراد داخل المدينة منها على المجال البيئي، و عدم إلقاء نظرة عليها كتركيبة حية في مرحلة تطور.

المراكز الحضرية:

هذا التضخم مس جميع المراكز و لكن بدرجات متفاوتة و هذا منذ الاستقلال إلى غاية آخر تعداد سكاني 2008 (مع استثناء الفئة الأقل من 5000 نسمة التي لا ينطبق عليها معيار المراكز الحضرية) حيث حسب الجدول رقم (2) وجدنا:

المراكز ذات حجم سكاني أكبر من 100 ألف نسمة: تضاعفت ب 10 مرات خلال هذه الفترة ما يمثل نسبة (4 %) من مجموع المراكز الحضرية في الجزائر

المراكز ذات حجم سكاني من 50 ألف الى 100 ألف نسمة: تضاعفت بأكثر من 6 مرات خلال هذه الفترة ما يمثل نسبة (6,01 %) من مجموع المراكز الحضرية في الجزائر

المراكز ذات حجم سكاني أكبر من 20 ألف الى 50 ألف نسمة: تضاعف عددها بحوالي 6 مرات و نصف، خلال هذه الفترة ما يمثل نسبة (17,78 %) من مجموع المراكز الحضرية في الجزائر

المراكز ذات حجم سكاني أكبر من 10 آلاف الى 20 ألف نسمة: التضاعف فاق 7 مرات ، ما يمثل نسبة (25,67 %) من مجموع المراكز الحضرية في الجزائر

المراكز ذات حجم سكاني أكبر من 5 آلاف الى 10 ألف نسمة: التضاعف وصل الى أوجه حيث فاق 23 مرة مما كان عليه بعد الاستقلال مباشرة ،ما يمثل نسبة (46,45 %) من مجموع المراكز الحضرية في الجزائر

كل هذه النتائج تؤكد على أن الجزائر تعتمد في شبكتها الحضرية على الوحدات الصغيرة الحجم.

إن تطور الظاهرة الحضرية أثر و غير في مواصفات الشبكة الحضرية حيث أصبحت المستويات السفلى ذات أهمية قصوى على غرار المستويات العليا و للوقوف عند هذه الظاهرة ارتأينا دراسة عينة من ولاية سكيكدة و المتمثلة في المدن الصغرى : عزابة، الحروش و القل، و قد تكون مثالا يوضح هذا التوجه في عملية التعمير بالجزائر، و من المميزات التي تخص ولاية سكيكدة نلاحظ أن التعمير يسير وفق المسار العام للبلاد.

جدول رقم (2): **تطور عدد المراكز الحضرية حسب الأحجام**

حجم التجمعات	عدد التجمعات عبر السنوات الاحصائية				
	1966	1977	1987	1998	2008
أقل من 5000ن	1616	1985	2962	3218	3562
5000 – 10000 ن	84	113	260	409	465
10000– 20000 ن	46	73	100	216	257
20000– 50000 ن	27	38	93	133	178
50000 – 100000 ن	10	16	37	51	61
أكثر من 100000 ن	4	8	18	30	40
المجموع	1787	2233	3470	4057	4563

المصدر: مختلف التعدادات

1 النشأة التاريخية:

تتفق مدينتي عزابة و الحروش في نفس فترة النشأة فهي ذات نشأة استعمارية خلاف مدينة القل ذات النشأة التاريخية ، لكن بعد الاستقلال حضيت كل مدينة في فترة واحدة على نفس الترقية الإدارية

مدينة عزابة: برزت المدينة سنة 1848 تحت اسم JEMMAPES كمركز استعماري أصبحت تحت تصرف الإدارة العسكرية إبتداءا من سنة 1870 ما أدى الى ترقيتها كمركز بلدية مختلط الى غاية الاستقلال سنة 1962 [3]، بعد ترقية دائرة سكيكدة إلى ولاية و ذلك بعد انفصالها عن قسنطينة سنة 1974 رقيت معها بلدية عزابة إلى دائرة تضم معها البلديات التالية: عين شرشار، السبت، بن عزوز و شطايبي، و بعد إعادة التنظيم الإداري سنة 1990 أصبحت دائرة عزابة تضم البلديات: جندل سعدي محمد، عين شرشار، السبت و الغدير.

مدينة الحروش: سميت قديما باسم مسلان الكبش و الذي كان عبارة عن مكان التقاء القبائل المتفرقة و لتجارة الأغنام، غير أن الاسم الحالي الحروش و الذي جاء بعد تحريف للمعنى الحقيقي الذي هو العروش، في 5 أكتوبر 1838 قام الجنرال VALLEE باحتلال الحروش على رأس جيش سالكين الطريق الروماني القديم الذي يربط سيرتا (قسنطينة) و فليب فيل (سكيكدة)، تأسست قرية الحروش بمرسوم مؤرخ في 22 مارس 1844 و دامت فترة الوجود العسكري الى غاية 1848 قام من خلالها ببناء ثكنة عسكرية و قدر عدد المعمرين بالمدينة ب 252 ساكن أوروبي [3]، و أصبحت مركز بلدية ذات صلاحيات كاملة بموجب مرسوم

مؤرخ في 22 أوث 1866 ، بعد الاستقلال رقيت إلى دائرة سنة 1974 و تضم معها البلديات التالية: أولاد حبابة، زردازة، صالح بوالشعور، أمجاز الدشيش.

مدينة القل: مر على ناحية القل العديد من الحضارات القديمة (الفينيقيين، الرومان،الوندال) كان أولها الفينيقيون الذين أسسوها و أطلق عليها اسم CHULLU و هذا لغاية الراحة و الاستعداد للسفر و أيضا لتبادل السلع مع سكان المناطق الساحلية ، موقعها المتميز جعلها في القرون الوسطى عرضة لغزوات و حملات أحيكت ضدها من قبل الإيطاليين، الإسبان، الفرنسيين.

سقطت مدينة القل في يد الاستعمار الفرنسي يوم 11 أفريل 1843 لكن لم تستتب الأمور إلا عام 1860 بسبب مقاومة السكان، نصبت فيما بعد كبلدية مختلطة ، بلغ عدد المعمرين بالمدينة سنة 1898 إلى 732 معمر أوروبي نظرا لموقعها الساحلي [3]، بعد الاستقلال حضيت بترقية إدارية مثل مثيلتيها عزابة و الحروش تضم معها بلديتي: الشرايع و بني زيد.

2 الموقع الإداري و الجغرافي:

تقع المدن الثلاثة في شرق الجزائر و تنتمي لولاية سكيكدة (أنظر الخريطة رقم (1) ، و ذلك منذ سنة 1974 و هي نفس السنة التي رقيت فيها بلديات مجال الدراسة كدوائر، كل مدينة تأخذ موقع مغاير عن الأخرى داخل الولاية، فمدينة عزابة في شرق الولاية، الحروش في الجنوب و القل في الشمال الغربي.

مدينة عزابة : تقع على قدم جنوب السلسلة النوميدية القسنطينية تتوسط منطقة سهلية ما جعل منها منطقة عبور مهمة حيث يقطعها الطريق الوطني رقم 44 الرابط بين عنابة و سكيكدة، و الطريق الوطني رقم 3 المؤدي الى قسنطينة، يمر بمحاذاتها الطريق السيار شرق غرب يتصل بها عبر الرابط في جهة التجمع الثانوي رأس الماء الذي يبعد عن المدينة ب 9 كم (و هو في طور الإنجاز) ، تبعد مدينة عزابة عن مدينة سكيكدة بحوالي 32 كم ، 81 كم عن مدينة قسنطينة، و 70 كم عن مدينة عنابة.

مدينة الحروش: تقع في شمال التل القسنطيني في سهل واد الصفصاف مما غلب عليها الطابع الفلاحي ، تعد نقطة عبور بين المدن الثلاثة (عنابة، سكيكدة و قسنطينة عبر الطريق الوطني رقم 3 الرابط بين عنابة و قسنطينة، يمر بجانبها الطريق السيار شرق غرب و المتصل بها عبر التجمع الثانوي التوميات، بالاضافة الى الطريق الولائي الرابط بينها و

بلدية زردازة في الجنوب و بلدية مجاز الدشيش من جهة الشمال، تبعد عن مدينة سكيكدة بحوالي 32 كم ، و عن مدينة قسنطينة ب 58 كم و عن مدينة عنابة ب 85 كم.

مدينة القل : تقع في شمال غرب الولاية في سهل ضيق تحيط بها السلسلة النوميدية التي تعتبر حاجزا طبيعيا بينها و بين المدن المجاورة مما جعلها مجال جغرافي يتميز بالانغلاق، ينتهي عندها الطريق الوطني رقم 85 الذي يربطها بمقر الولاية سكيكدة و الطريق سكيكدة و الطريق الولائي رقم 132 الذي يربطها بولاية جيجل، تبعد عن مدينة سكيكدة ب 70 كم، عن مدينة قسنطينة ب 102 كم، و عن مدينة عنابة ب 172 كم.

3 الجانب الديمغرافي:

الفترة 1954 – 1966 :تميزت هذه الفترة بنمو سريع (أنظر الجدول رقم3) و خصت المدن التالية بمعدل نمو يتراوح بين 5,05 % بالحروش ، 5,36 % بعزابة ، و أعلاها 8,77 % بالقل ، يرجع أساسا الى نصيب الهجرة أنذاك والذي شهد تسارع (أنظر الجدول رقم 4) نتيجة سياسة التجميع التي طبقها المستعمر في سنة 1959 يهدف من ورائها التحكم في مراقبة السكان و عزلهم عن الثورة.

الفترة 1966 – 1977 : تميز المراكز بمعدلات نمو سنوية منخفضة مقارنة بمعدل النمو الحضري الوطني و المقدر ب 5,46 % ، والتي جاءت كنتيجة منطقية للفترة التي سبقتها أي ما بعد الاستقلال أين استقبلت المدن الصغرى عدد كبير من السكان النازحين من الجبال و الأرياف إلى درجة التشبع، بالإضافة إلى ارتفاع معدل التصنيع في المدن الكبرى عنابة(الحديد و الصلب)، سكيكدة (البتروكيماوية) و قسنطينة (الميكانيك)، مما جعل هذه المدن الكبرى الثلاثة تتميز بقوة جذب في منطقة أقصى الشرق الجزائري مشكلة بذلك مثلث صناعي.

جدول رقم (3): **معدل النمو الحضري للمدن الصغرى**

المدن	1954	1966	1977	1987	1998	2008	معدلات النمو الحضرية (%)				
							54-66-	66-77-	77-87-	87-98-	98-08-
عزابة	4824	9034	11955	21964	26267	33765	5.36	2.58	6.27	1.64	2.54
الحروش	5275	9532	13171	18811	28141	33085	5.05	2.98	3.62	3.73	1.63
القل	3945	10828	12493	21043	27544	30163	8.77	1.30	5.35	2.47	0.91
معدل النمو الحضري الوطني (%)							4.78	5.46	5.40	3.58	2.89

المصدر:مختلف التعدادات [4]

و في محاولة لتدارك هذه النقائص توجهت سياسة الدولة بإعطاء الأولوية للمراكز الحضرية الصغرى ، و هذا باتخاذها بعض التدابير من بينها الترقية الإدارية للعديد من المدن منها : عزابة ، الحروش و القل لتصبح كمقرات لدوائر تابعة لولاية سكيكدة و بالتالي تحضى بإستثمار مالي مهم موجه لتطوير قطاع السكن و خلق وحدات اقتصادية.

الفترة 1977 – 1987 : عرفت هذه الفترة زيادة في معدلات النمو الحضري و التي تعود الى الزيادة الطبيعية و الهجرة معا (خصوصا عزابة تليها القل) لم تكن عفوية و إنما بسبب السياسة الحضرية المتبعة التي أعطت امتيازات للمراكز الحضرية في العشرية السابقة ، و بدأت تظهر ثمارها في هذه الفترة من ترقية إدارية، انجاز مشاريع كبرى للإسكان من مناطق السكن الحضري الجديد و التحصيصات بمختلف أنواعها ، زيادة على توفير مختلف المرافق و التجهيزات و الوحدات الصناعية ، فبلدية عزابة تتوسط سهل واسع جد خصب تقطعه شبكة طرق مهمة مما يؤهلها لخلق العديد من الوحدات الصناعية داخل مجالها البلدي و كذلك وجود العديد من الموارد الطبيعية حول المدينة ساهم بشكل ايجابي في خلق مصنع الإسمنت حجار السود بالواد الكبير[5] ، و مركب معالجة الزئبق الذي يبعد ب 6 كم في إتجاه جنوب شرق المدينة، بالتوازي مع هذه الوحدات الصناعية ظهور وحدة حياكة النسيج CIBA وسط المدينة و وحدة تغذية الماشية ONAB ، و هي أيضا أي بلدية عزابة لوحدها تضم في مجالها 5 تجمعات ثانوية على رأسهم القرية الاشتراكية منزل الابطال ، الحروش

بثلاث تجمعات و القل بتجمعين ، هذه المراكز تختلف فيما بينها من حيث أصل نشأتها فمنها من هو ذو نشأة استعمارية كسعيد بوالصبع و كمزرعة مثل التوميات (الحروش)، و قريبيسة (عزابة) و التي هي في طريقها للالتحام بالمدينة عزابة نتيجة التوسع العمراني الحاصل من السكنات الجماعية بمختلف الصيغ أهمها سكنات عدل، و منها من كان قرية اشتراكية كمنزل الابطال بعزابة و رامول عبد العزيز بالقل، و أخرى بدأت على شكل تحصيصات تم إنشاؤها في الثمانينات كمنزل بنديش و الإخوة بومدين بعزابة.

كل هذه الامتيازات للمدن الصغرى جعلها مراكز جذب بإمتياز و ساعدت على خلق نوع من إعادة التوازن لسلسلة الشبكة الحضرية ، و تخفيف من حدة المراكز الكبرى و بالابتعاد عن الساحل الذي يضم أكبر نسبة من المجال الحضري،أما الزيادة الطفيفة التي عرفتها مدينة الحروش (رغم ذلك أقل من المعدل الوطني المقدر 5,40 %) فتعود إلى بداية بروز تجمع صغير بحجم سكاني معتبر هو مركز : سعيد بوالصبع ، و من بين العوامل التي ساعدت على ذلك أن السلطات قامت بتوزيع الأراضي الصالحة للبناء و بأثمان منخفضة مما شجع على عملية البناء و الهجرة نحوها.

الفترة 1987 – 1998 :عرفت المدن الثلاثة معدلات نمو حضري مختلفة لكنها منخفضة مقارنة بالعشرية التي سبقتها خصوصا لمدينتي عزابة و القل و هذا يعود ل : – تمركز السكان في تجمعات ثانوية و التي ظهرت في معظمها بعد إحصائيات 1977 ، – ميزة هذه التجمعات أن أغلبيتها على امتداد الطرق الوطنية بالإضافة إلى قربها من المراكز الرئيسية مما أدى إلى جذب سكان المناطق المبعثرة و المناطق الجبلية بحثا عن الأمن (و ما تميزت به هذه العشرية من أوضاع أمنية غير مستقرة) و حد معين من المستوى المعيشي و شروط الحياة الأولية من : عمل ، صحة، تعليم.....الخ.

هذا الانخفاض في معدل النمو الحضري لم يشمل فقط المدن الثلاثة و إنما هو نفس النهج و المسيرة المتبعة في المجال الجزائري ككل أي التوجه نحو المراكز الأصغر حجما و التي هي الأقرب للريف من المدن الصغرى.

الفترة 1998 – 2008: نلاحظ انخفاض في معدل النمو الحضري خصوصا لمدينتي القل و الحروش ، مع ارتفاع طفيف لمدينة عزابة يتقارب مع معدل النمو الحضري الوطني و الذي بدوره أقل من معدل النمو الحضري الوطني للعشرية الفارطة، و هذا يعود لتناقص الهجرة و التي هي أقل من نسبة صافي الهجرة للمدن الصغرى المقدر ب 18.91 % نحو

هذا النوع من المدن و التي عرفت تشبع سكاني كبير وبالتالي مواصلة نفس النهج المتبع سابقا و بسياسة مرسومة و محددة بالتوجه نحو المراكز الأصغر حجما و هذا على المدى القريب و المتوسط ، مثل مركز منزل الأبطال بعزابة و مركز سعيد بوالصبع بالحروش و الذين وصلا لمرتبة مراكز حضرية ، في محاولة لخلق نوع من التوازن الحضري لمختلف المراكز الحضرية و لتقريب الخدمة و التواصل المباشر مع سكان المجال الريفي، أي بتسلسل هرمي عكسي من الأعلى إلى الأسفل.

جدول رقم (4): **المدن الصغرى: نصيب الزيادة الطبيعية و صافي الهجرة الديمغرافي للفترات بين (1954- 2008)**

الفترات	المراكز	التغير الديمغرافي	الزيادة الطبيعية	صافي الهجرة	نسبة صافي الهجرة (%)	نسبة صافي الهجرة للمدن الصغرى (%)
1966-1954	عزابة	4210	1881	2329	48.27	11.04
	الحروش	4257	2057	2200	41.70	
	القل	6883	1538	5344	135.48	
1977-1966	عزابة	2921	3704	783-	8.66-	12.8
	الحروش	3639	3908	269-	2.82-	
	القل	1665	4439	2774-	25.61-	
1987-1977	عزابة	10009	4185	5824	48.71	44.9
	الحروش	5640	4610	1030	7.82	
	القل	8550	4372	4178	33.44	
1998-1987	عزابة	7303	5711	1592	7.24	23.08
	الحروش	9330	4891	4439	23.59	
	القل	6501	5471	1030	4.89	
2008-1998	عزابة	7498	4549	2949	11.23	18.91
	الحروش	4944	4784	160	0.57	
	القل	2619	4765	2146-	7.79-	

المصدر:مختلف الإحصائيات

4 تطور السكن: يتميز تطور السكن للمدن الثلاثة عموما بنفس الوتيرة و الأنماط ما عدا اتجاه التوسع، فمدينة عزابة توسعت نحو الشرق لتلتصق بالتجمع الثانوي ديار الزيتون، و

التوجه الحالي نحو الشمال بنمط السكنات الجماعية بمختلف الصيغ و يغلب عليها سكنات عدل و بالتالي الالتصاق مع المركز الثانوي قريبيسة و تجمع بئر فرينة، مدينة الحروش كان التوسع منذ الاستقلال على أطراف النواة القديمة (شرق، شمال و غرب) و حاليا التوسع باتجاه الجنوب، أما مدينة القل فالتوسع كان في الجهة الغربية للنواة على اعتبار أنها محاذية للبحر مع صعوبة التوسع في الجهة الشرقية و الجنوبية نظرا للعوامل الطبيعية.

النسيج الحضري للمدن الثلاثة بحسب الخريطة رقم (2) يتكون من النواة القديمة التي تعود للحقبة الاستعمارية ذات النمط الشطرنجي المتجانس، و الذي يصنف حاليا كسكن فردي قديم و هذا بعد إدخال العديد من التغيرات عليه من طرف السكان في الواجهة مع تخصيص الطوابق الأرضية للنشاط التجاري، تليها السبعينات بدأت تتوسع المدن بإدخال أنماط سكنية جديدة على النسيج الحضري و المتمثلة في السكن الجماعي و النصف الجماعي، في فترة الثمانينات بدأت بالظهور السكنات الفردية الحديثة على شكل تحصيصات بتنوع في الشكل العمراني و الواجهات.

جدول رقم(5): **تطور عدد المساكن للمدن عبر الفترات الإحصائية**

المدن	1966	1977	1987	1998	2008
عزابة	1422	2206	3804	6395	7749
الحروش	1450	1894	2661	5165	5861
القل	1607	1909	3203	4676	5220

المصدر: مختلف التعدادات

5 التجهيزات الصحية: يحتوي مجال الدراسة على 4 مستشفيات من مجموع 7 على مجال الولاية، و 4 عيادات متعددة الخدمات، و مركزين صحيين و تظهر آخر المعطيات المتحصل عليها سنة 2017 على:

مدينة عزابة: مستشفى ب 158 سرير ،16 طبيب عام، 12 طبيب مختص، 198 ممرض، 3 طبيب أسنان، و صيدلي.

عيادة متعددة الخدمات ب 11 طبيب عام، 3 أطباء مختصون، 9 أطباء أسنان و 28 ممرض، بالإضافة إلى مركز صحي.

مدينة الحروش: بمستشفيين، الأول مستشفى الطب العام و الثاني مستشفى الأمراض العقلية بمجموع 481 سرير، 65 طبيب عام، 40 طبيب مختص، 8 طبيب أسنان، 4 صيادلة و 354 ممرض

عيادتين متعددتي الخدمات ب 20 طبيب عام ، 7 أطباء أسنان و 43 ممرض، بالإضافة إلى مركز صحي.

مدينة القل: مستشفى ب 226 سرير، 29 طبيب عام، 16 طبيب مختص، 281 ممرض.

عيادة متعددة الخدمات ب 12 طبيب عام، 8 أطباء أسنان و 48 ممرض.

إذا ما قارنا هذه المعطيات و تغطيتها لسكان كل دائرة، نجد أن هناك عجز على كل الأصعدة منها عدد الأسرة، حيث حسب شبكة التجهيزات فإن التغطية تكون ب سرير لكل 500 مواطن ،عزابة بسرير لكل 665 مواطن، الحروش بسرير لكل 757 مواطن، ما عدا القل بسرير 332 مواطن أي أنها ذات تغطية جيدة في هذا المجال و تتعدى خدمتها من مجال الدائرة الى إقليم غرب الولاية ككل.

6 التجهيزات التعليمية: بحكم أن المدن الثلاثة بمرتبة دوائر فهي تحتوي على تجهيزات تعليمية لجميع الأطوار بالإضافة إلى التكوين المهني و التمهين.

مؤسسات التعليم المتوسط و الثانوي لم تصبح حكرا على المدن الثلاثة و ذلك بتواجدها في السنوات الأخيرة على مستوى أغلب البلديات و بالتالي عرفت هذه المدن نوعا من الاستقلالية عن باقي المجال المحيط بها و التقليل من قوة الجذب نحوها.

جدول رقم (6): تجهيزات التعليم الإبتدائي للموسم الدراسي 2016 – 2017 للمدن : عزابة، الحروش، و القل.

المدن	عدد المدارس	عدد الأقسام	المعلمين	التلاميذ	معدل إشغال القسم (تلميذ/القسم)	معدل التأطير (تلميذ/ أستاذ)
عزابة	9	84	95	2287	27.23	24.07
الحروش	9	87	118	2852	32.78	24.17
القل	8	82	86	1666	20.32	19.37

المصدر: مديرية التربية لولاية سكيكدة (2016– 2017)

جدول رقم (7): تجهيزات التعليم المتوسط للموسم الدراسي (2016–2017) للمدن : عزابة، الحروش، و القل.

المدن	العدد	التلاميذ	المعلمين	الأقسام	المخابر	الورشات	معدل إشغال القسم (تلميذ/القسم)	معدل التأطير (تلميذ/ أستاذ)
عزابة	6	3350	175	98	13	13	34.18	19.14
الحروش	4	2950	142	79	9	9	37.34	20.77
القل	5	2265	141	79	10	9	28.67	16.06

المصدر: مديرية التربية لولاية سكيكدة (2016– 2017)

جدول رقم (8): تجهيزات التعليم الثانوي و التقني للموسم الدراسي (2016–2017) للمدن : عزابة، الحروش، و القل.

المدن	العدد	التلاميذ	المعلمين	الأقسام	المخابر	الورشات	معدل إشغال القسم (تلميذ/القسم)	معدل التأطير (تلميذ/ أستاذ)
عزابة	3	3178	198	75	16	10	42.37	16.05
الحروش	3	2688	176	83	18	6	32.38	15.27
القل	4	2906	194	83	19	4	35.01	14.97

المصدر: مديرية التربية لولاية سكيكدة (2016– 2017)

7 التعليم الجامعي: يوجد بمدينة عزابة مركز جامعي، ، افتتح مع بداية السنة الجامعية 2003–2004 كملحق ضمن المركب الثقافي الإسلامي علي منجلي و تابع لجامعة سكيكدة يحتوي على اختصاصين هما الأدب العربي و الحقوق، ثم تم تحويله لمدرسة عليا لأساتذة التعليم التكنولوجي و هذا إبتداءا من الموسم الجامعي 2012–2013 ، يحتوي على العديد من الاختصاصات للتعليم المتوسط و الثانوي و هي : الرياضيات، الكيمياء و الفيزياء، التكنولوجيا و العلوم الطبيعية،بالإضافة إلى إقامة جامعية بطاقة إستعاب 500 طالب.

إن هذه المدرسة العليا للأساتذة و التي هي ضمن مجال التعليم العالي تخلق نوع آخر من الحركية المفقودة داخل المدينة الصغيرة و يوسع من مجال نفوذها ليصل إلى ولايات الشرق الجزائري ما لم يحققه أي تجهيز آخر.

جدول رقم (9): مدينة عزابة: مكونات التجهيز الجامعي

المدرسة العليا	عدد الطلبة	الأساتذة	القاعات	المدرجات	المخابر
العدد	1640	133	25	05	11

المصدر: المدرسة العليا للأساتذة للموسم الجامعي (2017-2018)

8 النشاط التجاري: عرفت التجارة على غرار باقي القطاعات تطور كبير و سريع في السنوات الأخيرة لتوجه السياسة العامة للبلاد بالدخول في نظام اقتصاد السوق و الإقرار بحق الملكية الفردية، و ذلك بتوظيف الأموال على اعتبار أن التجارة عنصر مهيكل للمجال و إحدى العوامل الأساسية و الضرورية في استمرارية الحياة الحضرية، لكن مع تغييب للسياسة التخطيطية للبنية التجارية الأمر الذي قلل من حظوظ التحكم فيها.

هذا التطور مس المدن الثلاثة حيث نجد انسجام و تقارب فيما بينهم في الكم و النوع، تؤكد المعطيات المستخرجة من الدراسة الميدانية (شهري مارس و آفريل 2018) أن هناك 3755 محل تجاري موزعة كالتالي (أنظر الجدول رقم 10): مدينة عزابة ب 1367 محل تجاري، مدينة الحروش ب 1171 محل تجاري و القل ب 1217 محل، أي في ظرف 14 سنة (دراسة خاصة سابقة أجريت سنة 2003 [3]) كانت هناك زيادة بنسبة:

16.82 % في مجموع المحلات التجارية في مدينة عزابة (1137 محل سنة 2003)

24.93 % في مجموع المحلات التجارية في مدينة الحروش (879 محل سنة 2003)

19.96 % في مجموع المحلات التجارية في مدينة القل (974 محل سنة 2003)

و بهدف إعطاء بعد موضوعي و دقيق في تشخيص البنية التجارية سنتطرق إلى نوعين من التصنيفات:

أ – تصنيف المحلات حسب النشاط الغذائي و الغير غذائي: يعتمد على تصنيف المحلات التجارية التجارية إلى نوعين، من جهة يتم الجمع بين كل ما هو تجارة غذائية كمحلات المواد الغذائية سواء كانت جملة أو تجزئة كالخضر و الفواكه، حلويات و مرطبات، مطعم ....الخ، و من جهة أخرى يجمع كل ما هو تجارة غير غذائية أي ليس لها علاقة بالتغذية كحلاق، ألبسة و أحذية، طبيب .....الخ.

و على هذا السياق و حسب المعطيات فقد تم الحصول على:

أ – 1 الوظائف التجارية الغذائية: فقد تم الحصول على 13 وظيفة غذائية ب 1445 محل غذائي عبر المدن الثلاثة، ما يمثل نسبة 38.48 % من إجمالي المحلات (أغلبها يتمثل في محلات المواد الغذائية + سوبيرات)

مدينة عزابة ب 521 محل ما يمثل نسبة 38.11 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

مدينة الحروش ب 433 محل ما يمثل نسبة 36.98 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

مدينة القل ب 492 محل ما يمثل نسبة 40.35 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

أ – 2 الوظائف التجارية الغير غذائية:

حسب المعطيات فقد تم الحصول على 60 وظيفة غير غذائية ب 2310 محل غير غذائي عبر المدن المدن الثلاثة ما يمثل نسبة 61.89 % من إجمالي المحلات (أغلبها يتمثل في محلات محلات الملابس) حيث:

مدينة عزابة ب 846 محل غير غذائي ما يمثل نسبة 61.89 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

مدينة الحروش ب 738 محل غير غذائي ما يمثل نسبة 63.02 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

مدينة عزابة ب 726 محل غير غذائي ما يمثل نسبة 59.65 % من إجمالي المحلات بالمدينة.

تحليل البنية التجارية باستعمال مؤشر قوة الجذب:

من الضروري في تحليل البنية التجارية لمجال الدراسة استخراج الوزن الحقيقي ل 73 صنف نشاط تجاري و ذلك اعتمادا على طريقة حسابية نقيس الوظيفة التجارية و هي : مؤشر قوة الجذب التجاري و هو يأتي بعد تصنيف المحلات التجارية الى محلات غذائية و محلات غير غذائية و يحسب بحاصل قسمة عدد محلات التجارة الغير غذائية على عدد محلات التجارة الغذائية فكلما تؤول النتيجة الى الصفر تكون المدينة أقل جذب للسكان و العكس صحيح.

و بحساب المؤشر نجد أن قوة جذب مجال الدراسة ككل يساوي 1.59 ، حيث:

مدينة عزابة بقوة جذب 1.63، مدينة الحروش بقوة جذب 1.70، و مدينة القل بقوة جذب 1.47

أي أن المدن الثلاثة ذات معامل جذب فوق الواحد أي ذات قوة جذب تجاري جيدة.

ب – تصنيف المحلات حسب المجموعات التجارية:

يقوم التصنيف على تقسيم النشاطات التجارية و المقدرة حسب ما يظهر في الجدول رقم (11) ب 73 نوع عبر مجال الدراسة إلى ثلاثة مجموعات كبرى:

تجارة صافية

تجارة حرفية

تجارة خدمات

إن النشاطات التجارية مقسمة وفقا لنوعية التبادل التجاري، أي حسب نوع المنتوج المقدم للزبائن، سواء كانت مصنعة أو منتجة (إنتاج فلاحي) تدخل في دائرة التجارة الصافية، و إما تكون منتوج حرفي ، أو تقديم خدمة كالعلاج ، هذا التصنيف سهل في عملية الفرز حيث لمجال الدراسة ككل نجد:

–التجارة الصافية: 32 نوع ب 2451 محل ما يمثل نسبة تفوق من 65 % من مجموع المحلات.

–التجارة الحرفية: 17 نوع ب 362 محل أي ما يقارب 10 % من مجموع المحلات.

–التجارة الخدماتية: 24 نوع ب 942 محل أي ما يمثل الربع 25 % من مجموع المحلات.

و ما يمكن قراءته من هذه المعطيات هو سيادة محلات التجارة الصافية في المدن الثلاثة و هذا من حيث الكم و النوع و هي السمة الطاغية لأغلب المدن الجزائرية بمختلف أحجامها.

جدول رقم (10): توزيع المحلات حسب المجموعات التجارية

المدن	تجارة صافية		تجارة حرفية		تجارة خدماتية		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
عزابة	891	65.18	135	9.88	341	24.94	1367
الحروش	768	65.58	118	10.08	285	24.34	1171
القل	792	65.08	109	8.96	316	25.96	1217
المجموع	2451	65.27	362	9.64	942	25.08	3755

المصدر: دراسة ميدانية مارس، آفريل 2018

نصيب الفرد من المحلات التجارية: و هو حاصل قسمة عدد السكان على عدد المحلات التجارية لكل مدينة، و بذلك قدر نصيب الفرد من المحلات التجارية بمحل لكل 29 نسمة و هو منخفض مقارنة مع المعدل الوطني المقدر ب محل لكل 50 ساكن، حيث: مدينة

عزابة بمحل لكل 27 نسمة، مدينة الحروش بمحل لكل 31 نسمة، مدينة القل بمحل لكل 28 نسمة.

و هي تتقارب لحد كبير من المعطيات التي تم الحصول عليها في دراسة خاصة سابقة سنة 2003 و هذا يعني توافق في التزايد بين عدد السكان و عدد المحلات التجارية.

جدول رقم (11): **توزيع النشاطات التجارية عبر مراكز مجال الدراسة**

	المراكز / النشاطات التجارية	عزابة	الحروش	القل	المجموع	ندرة المحلات
التجارة المتنقلة	مواد غذائية+ دقيق و مشتقاته+ superette	231	176	185	592	0,0017
	حلويات و مرطبات	69	73	75	217	0,0046
	مخبزة	19	15	24	58	0,0172
	خضر و فواكه	26	17	13	56	0,0179
	جزار + بيع البيض+ بيع السمك	27	22	40	89	0,0112
	بيع الدجاج + لحوم مجمدة	8	6	8	22	0,0455
	ألبان	15	13	14	42	0,0238
	توابل و عقاقير	4	3	2	9	0,1111
	مواد غذائية بالجملة	1	1	1	3	0,3333
	ملابس الأطفال + ملابس نسائية+ ملابس رجالية	168	123	133	424	0,0024
	أقمشة و منسوجات	19	16	15	50	0,0200
	أجهزة كهرومنزلية	29	19	25	73	0,0137
	مكتبة و جرائد	31	39	34	104	0,0096
	بيع و طحن القهوة	1	1	0	2	0,5000
	مواد صنع الحلوة	5	6	4	15	0,0667
	مثلجات	1	0	0	1	1,0000
	قطع غيار السيارات + عجلات مطاطية	31	39	29	99	0,0101
	بيع الأحذية + حقائب	33	25	21	79	0,0127
	بيع CD+ أشرطة فيديو	12	13	14	39	0,0256
	بائع الورود	0	1	0	1	1,0000
	هواتف نقالة + شحن	19	21	17	57	0,0175
	أثاث منزلي	6	7	6	19	0,0526
	أواني منزلية	19	21	29	69	0,0145
	كنكيري	6	7	4	17	0,0588
	كشك + تبغ و كبريت	21	19	13	53	0,0189
	بيع قارورات الغاز	6	4	3	13	0,0769
	عطور و هدايا + ساعات يد + مواد التجميل + لوازم الخياطة	41	37	31	109	0,0092
	أواني فخارية	2	1	1	4	0,2500
	تجهيز العرائس + كراء الفساتين	4	6	3	13	0,0769

مواد البناء + مواد خشبية	19	17	26	62	0,0161
مفروشات	11	15	19	45	0,0222
عتاد الكمبيوتر	7	5	4	16	0,0625
المجموع	891	768	793	2452	
حدادة	0	4	0	4	0,2500
مفتاح دقيقة + ترقيم اللوحات + صنع الاختام	2	2	1	5	0,2000
نجارة	17	16	11	44	0,0227
نجارة الالمنيوم	3	2	2	7	0,1429
خياط + طرز و جرح	13	8	7	28	0,0357
صياغة المجوهرات و الحلي	25	17	18	60	0,0167
طرح الصوف	0	1	0	1	1,0000
صبغ البلاط و الجبس	0	1	0	1	1,0000
اسكافي	1	1	1	3	0,3333
حلاق رجال + حلاقة نساء	39	41	45	125	0,0080
تنظيف الملابس	8	5	5	18	0,0556
تصليح الاجهزة الكهرومنزلية	2	4	3	9	0,1111
ميكانيكي + دهن السيارات	17	11	9	37	0,0270
زجاج و مرايا	1	1	3	5	0,2000
مطحنة	1	1	1	3	0,3333
معصرة زيتون	1	1	1	3	0,3333
تصليح العجلات و الدرجات	5	2	2	9	0,1111
المجموع	135	118	109	362	

الحرفية

بيطري	8	5	7	20	0,0500
مخبر تحاليل طبية + صيدلية	17	13	17	47	0,0213
حمام (مرش)	13	13	11	37	0,0270
محامي	35	27	31	93	0,0108
موثق	3	3	2	8	0,1250
محضر قضائي	5	5	3	13	0,0769
طبيب عام	19	21	18	58	0,0172
طبيب اسنان	7	5	9	21	0,0476
طبيب مختص + عيادة طبية	13	13	15	41	0,0244
تصوير طبي	1	1	1	3	0,3333
مدرسة سياقة	11	9	13	33	0,0303
مصور فوتوغرافي	5	4	4	13	0,0769
مكتب اعلام آلي + نادي الانترنت + صور طبق الاصل	39	27	22	88	0,0114
مكتب دراسات + مكتب مهندس معماري	13	7	9	29	0,0345
قاعة اعراس	6	5	4	15	0,0667
وكالة سياحية + وكالة عقارية	3	3	5	11	0,0909
قاعة العاب رياضية	2	1	2	5	0,2000
محطة بنزين	2	1	1	4	0,2500
مطعم + مشوى + اطعام سريع	95	81	108	284	0,0035
مقهى + قاعة شاي	24	25	21	70	0,0143
دروس تدعيمية	7	3	4	14	0,0714
مترجم	4	5	4	13	0,0769
نظارات طبية	2	2	1	5	0,2000
فندق + نزل (مرفق)	7	6	4	17	0,0588
المجموع	341	285	316	942	
المجموع العام	1367	1171	1218	3756	

الخدماتية

المصدر: دراسة ميدانية مارس، آفريل 2018

الخاتمة: بعد الدراسة يتضح أن المدن الصغرى التي قمنا بدراستها تتميز في الجانب الديمغرافي بنمو سريع نتيجة عاملي الهجرة المرتفعة في العشرية الأولى بعد الاستقلال و بالزيادة الطبيعية في العشريات التي تلتها، أما بخصوص جانب التجهيزات ذات كم معين والموقع فهي تساعدها في السيطرة على مجالها مع خلق مجال نفوذ خاص بها مشكلا بذلك إقليم خدمة لكل مدينة، باستثناء مدينة عزابة التي تنفرد بتجهيز يتمثل في المدرسة العليا لأساتذة التعليم التقني يتوافد إليها طلبة من كافة ولايات الشرق الجزائري مما جعلها أكبر من حيث مجال النفوذ الخدماتي.

هذا التقسيم لولاية سكيكدة إلى أقاليم خدماتية و تجهيزية صغيرة تعمل على تقريب الخدمة من المواطن مما يؤكد أن عملية التعمير المصغر (Micro urbanisation) بإمكانها أن تكون حل من الحلول لتخفيف الضغط على المدينة الكبرى الأم و المدن المجاورة لها .

المراجع:

[1] حمود نعيمة: ظاهرة البناء الفوضوي بالمدن الكبرى الجزائرية:الواقع و رهانات التسوية في إطار الحوكمة الحضرية، حالة مدينة قسنطينة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في التهيئة العمرانية، 2016، كلية علوم الأرض، الجغرافيا و التهيئة العمرانية، جامعة منتوري قسنطينة.

[2] LEKHAL abdelouahab : l'urbanisation en Algérie : un essai de bilan statistique, villes en paralléle,N^0 36,37,2003,p72.

[3] نوال هبهوب: التنظيم المجالي حول المدن الصغرى لولاية سكيكدة، حالة المدن : عزابة الحروش و القل، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية، 2006، كلية علوم الأرض، الجغرافيا و التهيئة العمرانية،جامعة قسنطينة.

[4] الديوان الوطني للإحصاء: التعداد العام للسكن و السكان 1966، 1977، 1987، 1998، 2008 .

[5] LEKHAL abdelouahab : base économique et rôle spatial des petites villes dans l'est Algérien ,essai de typologie, doctorat d'état en géographie , aménagement, 1996, institut des sciences de la terre, université de Constantine .

خريطة رقم (1): مواقع بلديات منطقة الدراسة

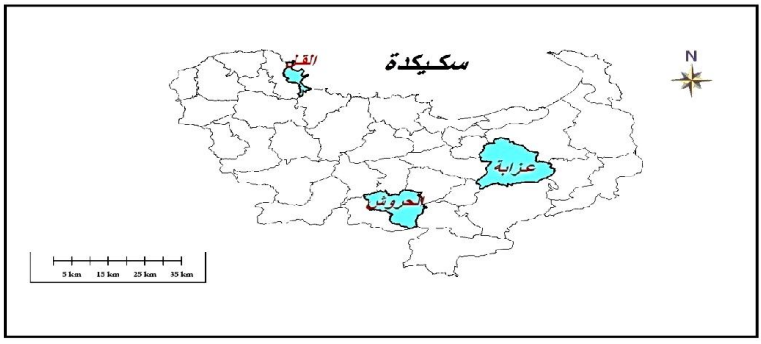

المصدر: مديرية البرمجة و متابعة الميزانية لولاية سكيكدة